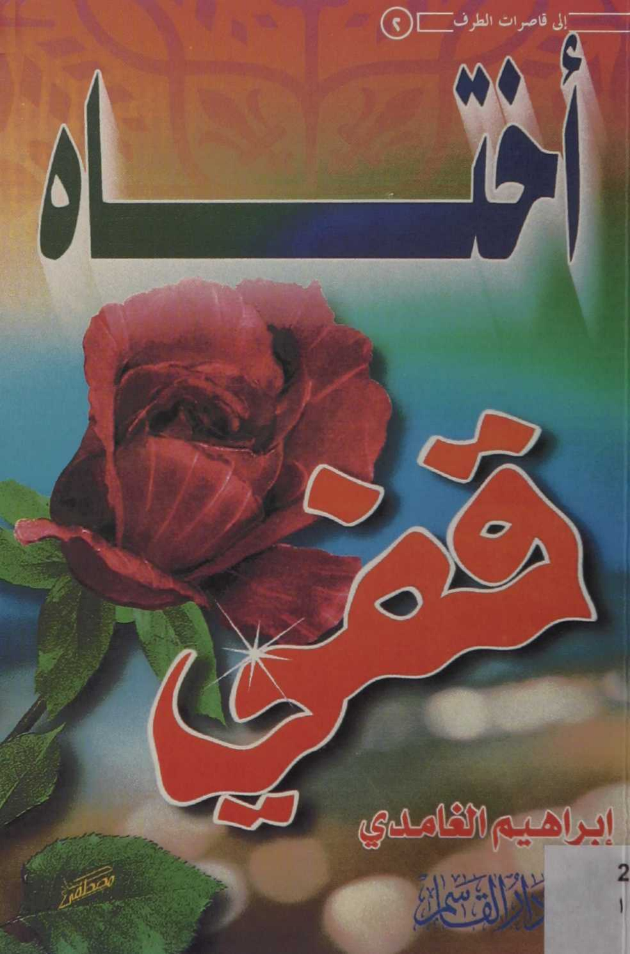

إلى قاصرات الطرف ٢
أختاه
قمري
إبراهيم الغامدي
دار القاسم
مصطفى

الطبعة الثانية

١٤١٤هـ

٢١٩ر١
١٠٥غ

اختاه قفي / إبراهيم بن عبدالله الغامدي . -
ط٢ . - الرياض : دار القاسم، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م
٥٦ . . . ص ؛ ١٢×١٧ سم
ردمك ٣ - ٠٨ - ٧٥٩ - ٩٩٦٠
١ - المرأة في الاسلام ٢ - الحجاب والسفور
٣ - التوبة (الاسلام) أ. العنوان

رقم الإيداع ١٤/٠٩٩٩
ردمك ٣ - ٠٨ - ٧٥٩ - ٩٩٦٠

الجمع التصويري والإخراج - الفرقان
المملكة العربية السعودية - الرياض هاتف ٤٠٤٣٧٣٢ - ٤٠٢٩٨٦٥

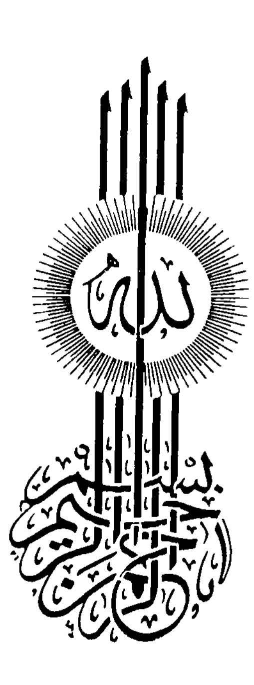
بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم..

إن هذه الورقات منك وإليك.

فتقبلها مني بقبول حسن..

وأنبتها نباتا حسنا


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

● **إليكِ..**

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين. . الذي لا فوز إلا في طاعته، ولا عز إلا في التذلل لعظمته، ولا غنى إلا في الافتقار إلى رحمته، ولا هدى إلا في الاستهداء بنوره، ولا حياة إلا في رضاه، ولا نعيم إلا في قربه، ولا صلاح للقلب ولا فرح إلا في الإخلاص له، وتوحيد حُبه، الذي إذا أطيع شكر، وإذا عُصي تاب وغفر، وإذا دُعي أجاب، وإذا عومل أثاب.

وسبحان من سبحت له السموات وأملاكها، والنجوم وأفلاكها، والأرض وسكانها، والبحار وحيتانها، والشجر والدوابُ والرمال، وكل رطب ويابس، وكل حي وميت.

سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضى نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأمينه على وحيه وخيرته من خلقه، المبعوث بالدين القويم والمنهج المستقيم، أرسله الله رحمة للعالمين، وإماماً للمتقين، وحجة على الخلائق أجمعين شرح له صدره، ورفع له ذكره، ووضع عنه وزره وجعل الذلة والصَّغار على من خالف أمره. . وبعد:

● **أختاه...**

إليكِ هذه الكلمات . . التي خرجت من قلبي ، فلعلها تصل إلى قلبـكِ وامتـزجت بروحي ، فلعلهـا تمتزج بروحك ، كتبتها بمداد المحبة والصفا ، والنصح والوفا ، فلعلها لا تجد عن نفسكِ الصافية مصرفاً . أسعدكِ الله في دنياك وأخراكِ ورفع درجتك ، ونوّر بصيرتك وهداك سُبل الرشاد .

أخـــوكِ

أبو حســـــان

● **أختاه...**

إنـما مثـلي ومثلك كمثل أخٍ كانت له أخت، وكانت هذه الأخـت تجري في طريق الحياة جرياً شديداً، وسعياً حثيثـاً، شاخصةً ببصرها إلى أعلى، لا تتبيّن مواضع قدميها.

تجري وتجـري.. وهمّهـا تحقيق أعلى أنواع اللذة، وأقصى غايات السعادة،

تجري وتجري.. وهي لا تفكر بالتعب ولا تشعر بالنصب

تجري وتجري.. وهي لا تحس بالدنيا

تجري وتجري.. **ثم آه!!**

يخرج أخوها.. ويقف في منتصف الطريق

ويقول لأخته.. **قفي!!**

تفـاجـأ هذه الأخت بأخيهـا، وتصرخ في وجهـه.. كيف أقف؟! وأنا في نشوة الشباب ومقتبل العمر.. وزهرة الحياة.. كيف أقف؟! كيف أقف؟!

ثم ترفع يديها الرقيقتين، تريد أن تبطش بأخيها الذي حرمها من سعيهـا خلف الملذات، وجـريهـا وراء الشهـوات، رفعت يديهـا، ثم.. الله أكـبر!! يشـير هذا الأخ الطيب إلى أخته،

ويقول لها: «انظري ماذا كان ينتظرك، لو أنك واصلت الجري ولم تقفي»... هل تعرفين ماذا كان ينتظرها أيتها الأخت كان ينتظرها في آخر الطريق: حفرة عميقة، ذات هوة سحيقة. فأكبت هذه الأخت على يد أخيها تقبلها، وتشكر له نصحه وتحمد له شفقته.

● أختاه...

أنت تلك الأخت، وأنا أخوكِ الناصح لكِ الذي يقول لكِ **قفي**..

قفي مع نفسك لحظة، حاسبيها كما يحاسب الشريك شريكه، واقرئي هذه الورقات، التي كتبها: شابٌ أعرض عن ذكر الله عشرين سنة من عمره..

غاص فيها في بحار الشهوات، وأرسى قواربه في شواطيء الملذات، وعاشها هائماً في دياجي الظلمات..

شاب.. ولج من المعاصي كل باب، وهتك منها كل حجاب، فصارت معيشته ضنكاً، ولياليه سوداً، وأحاطت به الهموم من كل مكان..

شابٌ.. عانى من الاكتئاب، والطفش، والحيرة، والتخبط، والفراغ، كثيراً وزمناً طويلاً..

فلما هداه الله، وأشرق نور الإيمان في قلبه، واتبع هدى الله ما ضل في هذه الدنيا بعد ذلك أبداً.. واتسع صدره بعد ضيق، وانشرح قلبه بعد اكتئاب، وارتاحت نفسه بعد تخبط وحيرة.. فصعد المنبر يتحدث إليكِ... وأمسك بالقلم يكتب لكِ، ومَدّ يديه يريد إنقاذكِ..

فهل تسمعين منه..

قبل أن تعصـي الله

● **أختاه...**

اسمعي الله ـ عز وجل ـ وهو يقول: ﴿**تسبح له السمواتُ السبعُ والأرضُ ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم**﴾[١]، ويقول ـ عز وجل ـ: ﴿**ألم تر أن الله يسجـد له من في السموات ومن في الأرض والشمسُ والقمرُ والنجوم والجبال والشجر والدواب**﴾[٢].

سبحان الله! هذا الكون كله، بكل صغير وكبير فيه، متوجه إلى الله ـ عز وجل ـ يسبحه، ويمجده، ويسجد له.

هذه الجبال الشامخات تسجد، وهذه النجوم النيرات تسبح، وهذه الدواب العجماوات تلهج بالذكر.

هذه المخلوقات العظيمة كلها تقف مُنكسة رأسها لخالقها، متذللة إليه، معترفة بالفضل له.

ولكنْ.. تبقى في هذا الكـون مخلوقة صغيرة حقيرة ذليلة،

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٤٤. (٢) سورة الحج: الآية ١٨.

خلقت من نطفة فإذا هي خصيمة مبينة، هي تسير في وادٍ، والكون كله في وادٍ آخر تترك الصلاة، بالرغم أن الجبال والأشجار تصلي وتسجد، تترك التسبيح، بالرغم أن كل ما حولها يلهج بالذكر والتسبيح.

إن هذه المخلوقة هي الإنسانة العاصية لله ـ عز وجل ـ فالله أكبر ما أشد غرورها! الله أكبر ما أعظم حماقتها! الله أكبر ما أذلها! وما أحقرها! عندما أرادت أن تكون شاذة في هذا الكون المنتظم.

كم عُرضت عليها التوبة فلم تتب، وكم عُرضت عليها الإنابة ولم تنب.

كم عُرض عليها الرجوع، وهي في شرود وهرب من الله،

كم عُرض عليها الصلح من مولاها، فلم تصطلح، ولوت رأسها مستكبرة.

● **أختاه...**

* عليكِ قبل أن **تعصي** الله ـ عز وجل ـ، فتصلين إلى هذا الوضع المزري، وهذه الحال المشينة، وتتردين إلى أسفل سافلين، بعد أن خُلقت في أحسن تقويم.

* عليكِ أن تتفكري في هذه الدنيا، وحقارتها، وقلة وفائها

وكثرة جفائها، وخسة شركائها، وسرعة انقضائها.

وتتفكري في أهلها وعشاقها، وهم صرعى حولها، قد عذبتهم بأنواع العذاب، وأذاقتهم أمَرّ الشراب، أضحكتهم قليلاً، وأبكتهم كثيراً وطويلاً سقتهم كؤوس سُمها بعد كؤوس خمرها، فسكروا بحبها، وماتوا بهجرها..

* عليكِ قبل أن **تعصي** الله ـ عز وجل ـ أن تتفكري في الآخرة ودوامها، وأنها هي الحياة الحقيقية فأهلها لا يرتحلون منها، ولا يظعنون عنها، بل هي دار القرار، ومحط الرحال، ومنتهى السير.

* عليكِ قبل أن **تعصي** الله ـ عز وجل ـ أن تتفكري في النار وتوقدها، واضطرامها، وبعد قعرها، وشدة حرها، وعظيم عذاب أهلها، تفكري في أهلها وقد سيقواإليها سود الوجوه، زرق العيون، والسلاسل والأغلال في أعناقهم، فلما انتهوا إليها فتحت في وجوههم أبوابها، فشاهدوا ذلك المنظر الفظيع. الذي يقلق القلوب، ويذهب العقول، فتتقطع قلوبهم حسرة وأسفاً: **﴿ورأى المجرمون النار فظنّوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها**

مصرفا﴾[١]، فيأتي النداء من رب العالمين: ﴿وقفوهم إنهم مسؤولون﴾[٢]، ثم قيل لهم: ﴿هذه النار التي كنتم بها تكذبون أفسحر هذا أم أنتمم لا تبصرون أصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون﴾[٣].

عليكِ أن تتفكري في أهلها وهم في الحميم، على وجوههم يُسحبون، وفي النار كالحطب يُسجرون.

﴿لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش﴾[٤]، فبئس اللحاف وبئس الفراش، وإن استغاثوا من شدة العطش: ﴿يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه﴾[٥]، فإذا شربوه قطع أمعاءهم في أجوافهم، وصهر ما في بطونهم شرابهم الحميم، وطعامهم الزقوم: ﴿لا يُقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور﴾[٦] وهم يصطرخون فيها: ﴿ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير﴾[٧].

---

(١) سورة االكهف: الآية ٥٣.
(٢) سورة الصافات: الآية ٢٤.
(٣) سورة الطور: الآية ١٥.
(٤) سورة الأعراف: الآية ٤١.
(٥) سورة الكهف: الآية ٢٩.
(٦) سورة فاطر: الآية ٣٧.
(٧) سورة فاطر: الآية ٣٧.

* عليكِ قبل أن تعصي الله ـ عز وجل ـ أن تتفكري في الجنة، وما أعد الله لأهلها فيها، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وما وصفه الله لعباده على لسان رسوله ﷺ، من النعيم المفصل الكفيل بأعلى أنواع اللذة، من المطاعم والمشارب، والملابس والصور، والبهجة والسرور.

تفكري في الجنة، وتربتها المسك، وحصباؤها الدر، وبناؤها لبن الذهب والفضة وقصب اللؤلؤ، وشرابها أحلى من العسل، وأطيب رائحة من المسك، وأبرد من الكافور، وألذ من الزنجبيل، ونساؤها لو برز وجه إحداهن في هذه الدنيا لغلب على ضوء الشمس. ولباسهم الحرير من السندس والإستبرق، وخدمهم ولدان كاللؤلؤ المنثور، وفاكهتهم دائمة، لا مقطوعة ولا ممنوعة، وفرش مرفوعة وغذاؤهم لحم طير مما يشتهون، وشرابهم خمرة لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون، وخضرتهم فاكهة مما يتخيرون، وفيها حور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون.

فهم على الأرائك متكئون، وفي تلك الرياض يحبرون وفيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، وهم فيها خالدون.

* عليكِ قبل أن تعصي الله ـ عز وجل ـ قيوماً، قاهراً فوق عباده، مستوياً على عرشه، منفرداً بتدبير مملكته، آمراً ناهياً،

مرسلاً رسله، ومنزلاً كتبه، يرضى ويغضب، ويثيب ويعاقب، ويعـطي ويمنـع، ويُعـز ويذل، ويحب ويبغض، ويرحم إذا استُرحم، ويغفر إذا استُغفر، ويجيب إذا دُعي، ويقيل إذا استُقيل.

* عليكِ أن تتذكري أن الله ـ عز وجل ـ أكبر من كل شيء، وأعظم من كل شيء، وأعز من كل شيء، وأقدر من كل شيء، وأعلم من كل شيء، وأحكم من كل شيء،.. يسمع ضجيج الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات فلا يشغله سمـع عن سمـع، ولا تغلطه المسـائـل، ولا يتبرم بإلحـاح الملحّين. سواء عنده من أسر القول ومن جهر به، فالسر عنده علانية والغيب عنده شهادة، يرى دبيب النملة السوداء، على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، ويرى نياط عروقها، ومجاري القوت في أعضائها[1].

● أختاه.. قبل أن تعصي الله تفكري!!

---

(١) ابن القيم في مدارج السالكين «بتصرف».

تذكــري.. !

● أختاه...

كم ستعيشين في هذه الدنيا؟ ستين سنة. . ثمانين سنة. . مائة سنة. . ألف سنة. . ثم ماذا؟

ثـم مــوت .. ثـم بعـث إلى جنـان النـعـيـم أو في نـار الجحيـم.

● أختاه...

* **تيقَّني** حق اليقين أن مَلَكَ الموت كما تعداكِ إلى غيركِ فهو في الطريق إليكِ.

* **واعلمي** أن الحياة مهما امتدت وطالت فإن مصيرها إلى الزوال وما هي إلا أعوام أو أيام أو لحظات؛ فتصبحين وحيدة فريدة لا حبيبات ولا أموال ولا صاحبات. .

* **تخيّـلي** نفسكِ، وقد نزل بكِ الموت، وجاء المَلَك فجذب روحكِ من قدميك

* **تذكـري** ظلمة القبر ووحدته، وضيقه ووحشته، وهول مطلعه.

* **تذكري** هيئة الملكين، وهما يقعدانك ويسألانك..

* **تذكري** كيف يكون جسمك بعد الموت؟ تقطعت أوصالكِ وتفتت عظامك، وبليَ جسدكِ، وأصبحتِ قوتاً للديدان..

* ثم يُنفخ في الصور.. إنها صيحة العرض على الله، فتسمعين الصوت، فيطير فؤادكِ، ويشيب رأسكِ، فتخرجين مغبرة حافية عارية. قد رُجت الأرض، وبُست الجبال، وشخصت الأبصار لتلك الأهوال، وطارت الصحائف، وقلق الخائف..

وشاب الصّغار، وبان الصّغار..
وزفرت النار، وأحاطت الأوزار..
ونصب الصراط، وآلمت السياط..
وحضر الحساب، وقوي العذاب..
وشهد الكتاب، وتقطعت الأسباب..

فكم من عجوز تقول: **وا شيبتاه!**، وكم من كبيرة تنادي **وا خيبتاه!** وكم من شابة تصيح: **وا شباباه**.

برزت النار فأحرقت، وزفرت النار غضباً فمزقت، وتقطعت الأفئدة وتفرقت.. والأحداق قد سالت، والأعناق قد مالت،

والألوان قد حالت، والمحن قد توالت..

* تذكري مذلتكِ في ذلك اليوم، وانفرادكِ بخوفك وأحزانك، وهمومكِ وغمومك وذنوبك،. وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمعين إلا همساً، وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى. قد مُلئت القلوب رُعباً، وذهلت المرضعة عن رضيعها، وأسقطت الحامل حملها..

وتتبرئين حينها من بنيكِ، وأمكِ وأبيكِ، وزوجكِ وأخيكِ..

* تذكري تلك المواقف والأهوال، يوم ينسى المرء كل عزيز وحبيب..

* تذكري يوم توضع الموازين، وتتطاير الصحف، كم في كتابكِ من زلل، وكم في عملكِ من خلل؟

* تذكري يوم يقال لك: هيا.. اعبري الصراط..

* تذكري يوم يُناديكِ باسمكِ بين الخلائق، يا فلانة بنت فلان: هيا إلى العرض على الله، فتقومين أنتِ، ولا يقوم غيرك لأنك أنتِ المطلوبة.

* تذكري حينئذٍ ضعفكِ، وشدة خوفكِ، وانهيار أعصابكِ وخفقان قلبكِ.. وقفت بين يدي الملِك الحق المبين، الذي كنتِ تهربين منه، ويدعوكِ فتصدين عنه.. وقفتِ وبيدكِ

صحيفة، لا تغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصتها، فتقرئينها بلسان كليل، وقلب كسير، قد عمّكِ الحياء والخوف من الله.. فبأي لسـان تجيبينـه حين يسألك عن عمركِ، وشبابكِ، وعلمكِ، ومالكِ.. وبأي قدم تقفين غداً بين يديه، وبأي عين تنظرين إليه، وبأي قلب تجيبين عليه.

ماذا تقـولـين غداً له، عنـدما يقول لكِ: يا أَمَتي: لماذا لم تُجليني، لماذا لم تستحي مني، لماذا لم تراقبيني، أَمَتي: استخففتِ بنظري إليكِ، ألم أحسن إليكِ ألم أنعم عليكِ؟

● **أختاه...**

أفــلا تصـبرين على طاعـة الله هذه الأيام القليلة، وهـذه اللحظات السريعة.. لتفوزي الفوز العظيم، وتتمتعي بالنعيم المقيم؟!

كلمات مضيئة

* قد مضى في اللهو عمري وتناهى فيه أمري
ويح قلبي من تناسيه مقامي يوم حشري
واشتغالي عن خطايا أثقلت والله ظهري[١]
* إنْ هي إلا أنفاسٌ تُعَدْ
ورحالٌ تُشَدْ
وعارية تُرَدْ
والترابُ مِن بَعْدْ
ينتظر الخَدْ[٢]
* وا حسرتي وا شقوتي من يوم نشر كتابيهْ
وا طولَ حُزني إن أكنْ أوتيته بشماليهْ
وإذا سُئلتُ عن الخطا ماذا يكون جوابيهْ
واحرَّ قلبي أن يكون مع القلوب القاسية[٣]

---

(١) التوبة النصوح.
(٢) الرقائق.
(٣) الرقائق.

تَمُر ساعات أيامي بلا ندم
ولا بكاء ولا خوف ولا حَزَنِ
ما أحلم الله عني حيث أمهلني
وقد تماديت في ذنبي ويسترني
أنا الذي أغلق الأبواب مجتهداً
على المعاصي وعين الله تنظرني
دعني أنوح على نفسي وأندبها
وأقطع الدهر بالتسبيح والحزنِ
دعني أسح دموعاً لا انقطاع لها
فهل عسى عبرة منها تخلصني(١)

(١) القصائد الزهديات.

من صديقاتك

قضية من أخطر القضايا على الإنسان في الدنيا والآخرة، بها يرتفع المرء إلى أعلى عليين، وبها يسقط في أسفل سافلين.. قضية تهم الصِّغار والكبار، والرجال والنساء، الشباب والفتيات. إنها قضية الصداقة والأصدقاء، قضية المحبة والخُلَّة، قضية جليسات الصلاح، وجليسات السوء.

يقول الرسول ﷺ: «**الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**»[1].

الإنسان على دين صاحبه، المرأة على دين صديقتها، الفتاة على دين خليلتها، الشابة على دين قرينتها، فإن كانت الصديقة صالحة كانت هذه صالحة. أو كانت فاسقة كانت مثلها فاسقة.

فلتختاري ـ أيتها الأخت ـ صديقتكِ وصاحبتكِ، حتى لا تردي معها إلى أسفل سافلين.

---

(١) صحيح سنن أبي داود ٤٠٤٦، وصحيح الجامع ٣٥٤٥، وفي رواية: «**المرء على دين خليله**» انظر: مشكاة المصابيح ٥٠١٩.

وإذا أردتِ أن تعرفي خطر صديقة السوء، فانظري.. من جعل أبا طالب، عم رسول الله ﷺ ـ خالداً مخلداً في ضحضاح من النار، بعد أن كان على قاب قوسين أو أدنى من الإسلام، أوَليس هو صديق السوء أبو جهل، عليه لعنة الله.

الصديقان قسمان:

يقول الله ـ عز وجل ـ: ﴿**الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين**﴾(١)، الله أكبر. كيف تنقلب الموازين، فتصير المحبة بغضاً، وتصير الصداقة عداوة. كل الصديقات، كل الصاحبات، كل الخليلات.. سوف تصبح صداقتهنَّ عداوةً يوم القيامة، إلا فريق واحد، إلا طائفة واحدة، هنَّ اللاتي كانت صداقتهنَّ لله، وكان لقاؤهنَّ على تقوى الله، وكان اجتماعهنَّ على القرآن وذكر الله.

يقول الله ـ عز وجل ـ بعد بضع آيات من هذه الآية، مبيناً جزاء أولئك المجرمين غير المتقين: ﴿**إنَّ المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون. وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين. ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال**

---

(١) سورة الزخرف: الآية ٦٧.

إنكم ماكثون لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون ﴾[1].

* لقد جاءتكن الآيات فرددتموهن، وجاءتكنَّ الواعظات والمذكرات والناصحات، فسخرتن منهن، واستهزأتن، وكرهتموهن واستكبرتن. فجزاؤكنَّ اليوم المكوثُ في النار، لا تُسمع شكواكن ولا ينفع استعتابكنَّ، جزاءً بما كنتن تفعلن.

*** يا ويلتي ***

يقول الله ـ عز وجل ـ مصوراً ذلك الندم الذي تندمه صاحبات السوء، اللاتي التقين على معصية الله، وتفرقن على معصية الله: **﴿ويوم يَعض الظالم على يديه، يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً يا ويلتي ليتني لم اتخذ فلاناً خليلاً لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً ﴾**[2].

يوم القيامة، تعض هذه التي ظلمت نفسها بالمعصية والفسوق. .

---

(١) سورة الزخرف: الآيات ٧٤ـ٧٨.

(٢) سورة الفرقان: الآيات ٢٧ـ٢٨.

ـ ﴿على يديه﴾ وإن كانت امرأة فهي تعض على يديها: من الندم والتأسف والأسى والحزن. بل إنها من شدة الحسرة والندم، لا تكفي بعض إصبعها فقط ولا تكتفي بعض يد واحدة فحسب، بل إنها تعض يديها الاثنتين.

لكن. . وا أسفاه. . لقد ندمت في ساعة لا ينفع فيها الندم، فقد فات الأوان. . لن تنفعَ الآهات، لن تنفع الشكوى، لن تنفع الدعوات، لن تنفع الباكيات سيول الدمع والعبرات.

ـ ﴿يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً﴾.

وتقول ـ إن كانت امرأة ـ: يا ليتني سلكت طريق رسول الله يا ليتني أطعته في أمره وانتهيت عن نهيه، يا ليتني التزمت بدين الله الذي جاء به، يا ليتني صاحبت المتمسكات بسنته.

ـ ﴿يا ويلتي﴾: بدأت تولول، وقد كانت حول المعاصي تدندن، انتبهت الآن، وقد كانت في الدنيا في غفلة تتناسى.

ـ ﴿ليتني لم اتخذ فلاناً خليلاً﴾.

ماذا!! اتفرطين في صديقتكِ، وتتركينها بهذه السهولة، أتتبرئين من صاحبتكِ وخليلتكِ في هذا الموقف العصيب.

ـ لماذا؟ ﴿لقد أضلّني عن الذّكر بعد إذ جاءني﴾.

الله أكبر! كم من صديقة سوف تتبرأ من صديقتها يوم القيامة! كم من حبيبة سوف تتخلى عن حبيبتها في ذلك الموقف الرهيب.

- ﴿لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني﴾ كادت أن تدخل طريق الهداية في الدنيا كادت أن تصلي، كادت أن تحفظ القرآن، كادت أن تطيع الله في كل ما أمر، وتبتعد عن كل ما نهى الله عنه وزجر - ولكن - أتت هذه الصديقة الشريرة، وجليسة السوء فصدتها عن ذكر الله، وأضلتها عن طريق الهداية، وجرتها إلى المسلسلات والأغنيات، إلى الاتصالات، إلى الأسواق، إلى المزابل. . . وقالت هذه خير من المسجد والقرآن، فصدقتها وكذبت الله، واختارت طريق الشيطان، وتركت طريق الرحمن، فكان جزاؤها الندم الشديد، والحسرة التي تقطع نياط القلوب.

* وإن كانت هذه الصديقة الحمقاء، قد سمعت لتلك الصديقة الشريرة، وجليسة السوء، فدخلتا النار سوياً. .

فإن هناك امرأة عاقلة، وفتاة لبيبة، دخلت طريق الهداية في الدنيا، وسارت به من غير تعب ولا ملل، من غير ريبة ولا انتكاسة ولا شك. وفي وسط الطريق جاءتها جليسة السوء،

وصديقة الشر، وقرينة الخيبة، فقالت لها: هل تصدقين أن هناك جنة وناراً، أن هناك ثواباً وعقاباً؟!!

اتركي هذا الطريق، وتمتعي بالدنيا ما دمت فيها. فأنت في بداية العمر، ومقتبل الشباب.

لكن هذه المرأة العاقلة، ركلت هذه الصديقة برجلها، وداستها تحت قدميها، وسارت في طريق النور والهداية، حتى وصلت إلى الجنة، وتمتعت بنعيمها، وجلست تتذكر مع خليلاتها المؤمنات الطاهرات. أيامها الخوالي في الدنيا، مع تلك القرينة السيئة، وتلك الصديقة المفسدة، فنظرت هي وصاحباتها إلى النار، فوجدتها في أسفل سافلين، فحمدت الله على النجاة، وشكرت الله على الهداية.

يقول الله ـ عز وجل ـ مصوراً هذا المشهد: **﴿فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون، قال قائل منهم إني كان لي قرين، يقول أءنك لمن المصدقين، أءذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أءنا لمدينون، قال هل أنتم مطلعون، فاطلع فرآه في سواء الجحيم قال تالله إن كدت لتردين، ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين، أفما نحن بميتين، إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين، إن هذا لهو الفوز العظيم، لمثل هذا فليعمل العاملون، أذلك خير نزلاً أم شجرة**

الزقوم، إنا جعلناها فتنة للظالمين، إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم، طلعها كأنه رؤوس الشياطين، فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون، ثم إن لهم عليها لشوباً من حميم، ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم﴾[1] من فوقهن نار، ومن تحتهن نار، يجعن فيها.. فيقدم لهن الزقوم؛ مرارته أشد من الحنظل، ويشتبك شوك هذه الشجرة الخبيثة في حلوقهن، فيطلبن شراباً يبعد المرارة، ويزيل الشوك، ويطفيء اللهيب، فيُسقين ماءاً حميماً ساخناً، فتتقطع أمعاؤهن من حرارته.. عذاب فوق عذاب فوق عذاب.

وفي الخاتمة: ﴿**ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم**﴾.. فبعد هذه الوجبة يغادرن هذه المائدة، عائدات إلى مقرهنَّ الدائم، إلى النار، إلى السعير.. إلى الجحيم.

*** صفات صديقات السوء ***

ـ أختاه.. إذا أردتِ أن تعرفي صفات صديقات السوء فخذيها من القرآن.

* يقول ـ عز وجل ـ: ﴿**ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون، تلفح وجوههم النار وهم**

(١) سورة الصافات: الآيات ٥٠-٦٨.

فيها كالحون، ألم تكن آياتي تتلى عليكم، فكنتم بها تكذبون، قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنَّا قوماً ضالين، ربنا أخرجنا منها، فإن عدنا فإنَّا ظالمون، قال اخسؤوا فيها ولا تكلمون إنَّه كان فريق من عبادي يقولون، ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين﴾[١].

فريق من عباد الله طيبين طاهرين، رجالاً ونساءاً فهل انضممتنَّ إليهم؟ هل سرتن في طريقهم؟ **﴿فاتخذتموهم سخرياً، حتى أنسوكم ذكري، وكنتم منهم تضحكون﴾**[٢]. اشتغلتن بالاستهزاء بهم، والضحك عليهم، وكان الأولى أن تكنّ معهم، وتذكرن الله ربكن. ثم الجزاء يوم القيامة ماذا يكون؟

﴿إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون﴾[٣].

* حياتهنَّ سخرية، وعيشهنَّ استهزاء، ودنياهنَّ لهو ولعب. منازلهنَّ الأسواق، ومجالسهنَّ الفسق والفجور ومساويء الأخلاق، وكلامهنَّ الغيبة والنميمة، والفحش

---

(١) سورة المؤمنون: الآيات ١٠٣-١٠٩.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ١١٠.

(٣) سورة المؤمنون: الآية ١١١.

وتمـزيق الأعراض وشرابهنَّ الدخان والمفترات والمخدرات تعلو شفافهنَّ الضحكات العاليات، وتعلو أبصارهنَّ الغشاوة، وفي آذانهنَّ وقـر عن سماع الهـدى. بصـائرهنَّ مطموسة، وقلوبهنَّ منكوسة، أعينهنَّ متحجرة، وأفئدتهنَّ معمية.

ـ تجدين في مجالسهنَّ كل شيء إلا القـرآن. وتلقـين على ألسنتهنَّ كل شيء، إلا ذكر الله.

ـ يسـمعن صوت الحق يصـدح في بيوت الله، فلا يقمن يصلين، بل يقدمن عليه اللهو واللعب.

ـ حياتهنَّ كحياة البهائم، بل البهائم خير منهنَّ: ﴿**لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون**﴾[١].

ـ حياتهن: طعـام، وشراب، ولعب، ونـوم: ﴿**يتمتعـون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم**﴾[٢].

ـ لا يعرفن طعم الإيمان، ولا لذة الصلاة.

ـ هربن من الملك وهن إماؤه، وبين يديه، وفي قبضته.

الله أكبر! والله إني لأعجبُ..

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٧٩.

(٢) سورة محمد: الآية ١٢.

كيف يهربن منه، وهو الرحمن الرحيم؟!

كيف يهربن منه، وهو الجواد البر الكريم؟!

ما الذي فعله بهنَّ حتى عصينه، ولم يطعن أمره ألم يخلقهنَّ، ألم يرزقهنَّ ألم يعافهنَّ في أجسامهنَّ وأموالهنَّ؟!

كيف يهربن منه، وهو الجبار المهيمن؟!

كيف يهربن منه، وهو القوي العزيز؟!

كيف يلبين دعوة الشيطان، ويتركن دعوته؟!

كيف يهربن من كلامه وكتابه إلى الصور العارية والأغاني الماجنة أغرهنَّ حلم الحليم، أغرهنَّ كرم الكريم.

أأمنَّ مكر القوي العزيز، أأمن انتقام ذي الانتقام.

ألم يخفن أن يأتيهنَّ ملك الموت وهن على المعاصي عاكفات،

ألم يخفن أن يأتيهنَّ ملك الموت، وهنَّ للصلاة مضيعات، ألم يخفن أن يأخذهنَّ الله أخذ عزيز مقتدر.

أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾..

أختاه...

- عودي إلى ربك، واتقي النار، اتقي السعير. إن أمامك أهوالاً وصعاباً، إن أمامك نعيماً وعذاباً، إن أمامك ثعابين وحيات، وأموراً هائلات، والله الذي لا إله إلا هو، لن تنفعك

الضحكات، لن تنفعك القصات والتسريحات، لن تنفعك الأغاني الماجنة، لن تنفعك الموديلات. .

لن تنفعك إلا الحسنات، والأعمال الصالحات.

ـ ألا وإني أدعوك إلى ترك رفيقات السوء، وصديقات الفساد، وجليسات الهوى. .

ـ ابتعدي عنهن، ولا تقتربي منهن، قبل أن تندمي في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

ـ ثم سيري في طريق الهداية، مع تلك الوجوه الطيبة النيرة، مع تلك القلوب البيضاء النقية، مع تلك الألسن النظيفة الطرية. أصحبي أهل الخير والقرآن، انضمي إليهن. .

تشعري بطعم الحياة وحلاوة الإيمان، ويوم القيامة تحشرين معهنَّ إلى الجنات الطيبات بإذن الله.

وانظري إلى ثواب الخليلات والصديقات المتقيات، يوم القيامة: يقول الله ـ عز وجل ـ: **﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون، الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون، وتلك الجنة التي**

أورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون﴾(١).

ـ قال ﷺ: «سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله.. وذكر منهم.. رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه»(٢).

ـ وقال ﷺ: «إن الله ـ تعالى ـ يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي، اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي»(٣).

ـ وقال ﷺ: «قال الله ـ عز وجل ـ: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء»(٤).

ـ وقال ﷺ: «قال الله ـ تعالى ـ: وجبت محبتي للمتحابين فيّ، والمتجالسين فيّ، والمتزاورين فيّ، والمتباذلين فيّ»(٥).

---

(١) سورة الزخرف: الآية ٦٧ـ٧٣.
(٢) البخاري ومسلم. وانظر: صحيح الجامع ٢٥٩٧.
(٣) صحيح الجامع: ١٩١١.
(٤) صحيح الجامع: ٤٣١٢.
(٥) صحيح الجامع: ٤٣٣١.

كلمات مضيئة

* يحيون ليلهم بطاعة ربهم بتلاوة وتضرع وسؤال
وعيونهم تجري بفيض دموعهم مثل انهمال الوابل الهطال
بوجوههم أثر السجود لربهم وبها أشعة نوره المتلالي(١)

* من عرف الله أحبه، وخافه، ورجاه، وتوكل عليه، وأناب إليه، ولهج بذكره، واشتاق إلى لقائه، واستحيا منه، وأجله، وعظمه(٢).

* قال أحد الصالحين: (مساكين أهل الدنيا، خرجوا من الدنيا، وما ذاقوا أطيب ما فيها، قالوا: وما أطيب ما فيها؟
قال: محبة الله، والأنس به، والشوق إلى لقائه، والإقبال عليه والإعراض عما سواه)(٣).

* فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خرابُ
إذا صحَ منك الودُّ فالكلُ هينٌ وكل الذي فوق التراب ترابُ(٤)

* عليك بطريق الحق.. ولا تستوحشْ لقلة السالكين
وإياك وطريق الباطل.. ولا تغتر بكثرة الهالكين(٥)

(١) إغاثة اللهفان. (٢، ٣، ٤، ٥) مدارج السالكين.

أنا طفشانـة !!

مرض من الأمـراض، ومشكلة من المشـاكـل، ووبـاء من الأوبئـة يجعـل الحياة موتـاً، والدنيا نكداً وهماً، واللذة تعاسة ويصيّر الأرض الواسعة ضيقة.

إنه مرض الطفش وضيق الصدر.

ذلك المرض الذي أصاب الكبير والصغير، الأمير والحقير، الفتى والفتـاة، الشيخ الهرم والشاب اليافع. فما أعراض هذا المرض، وما أسبابه، وما السبيل إلى علاجه.

● أختاه...

يبـدأ هذا المـرض بإنسانة، قطعت الصلة بينها وبين الله ـ سبحـانه وتعالى ـ لا تصلي، وإن صلت ففي بعض الأحيان. هائمة على وجهها في هذه الأرض، فرحة بشبابها متسكعة مع صويحباتها، تناست آخرتها، تغنى للدنيا أعذب الألحان، وتنشد فيها أجمل الكلمات، بعيدة كل البعد عن منهج الله ـ عز وجل ـ، وطريق رسوله ﷺ.

معرضة عن ذكر الرحمن، مقبلة على ذكر الشيطان.

ـ وبعد فترة، بدأت هذه الإنسانة، تشعر بحالات ومشاكل غريبة، بدأت تشعر بطفش واكتئاب، هموم وقلق، عصبية وضياع، فراغ وضيق صدر..

ـ ثم بدأت تبحث عن حل لهذه المشاكل، فأسرعت شياطين الإنس والجن إليها، تعاونها وتساعدها، قدمت لها وسائل كثيرة لقتل هذا الفراغ، وإبعاد هذا الضيق: أفلام، ومجلات، سهرات مع الأخلاء والخليلات، تسكع، واتصالات، ومخدرات.

فازدادت الحالة سوءاً، ولم يعالج المرض.

ـ فزادت في العلاج، رغبة في أن تملأ هذا الفراغ في نفسها، وتبعد هذا الضيق عن صدرها.

فرجّلت شعرها، وغيرت ثوبها، بدلت صديقاتها وحبيباتها، غيرت الأفلام القديمة والأغاني العتيدة، إلى كل جديد وحديث، سافرت، وهربت، وساحت، ثم عادت..

عادت لتزداد المشكلة تعقيداً، ورجعت ليتطور المرض أكثر وأكثر، عادت لتزداد حيرة، وقلقاً، وتعاسة.. عادت ليزداد الصدر ضيقاً، وتزداد النفس طفشاً وهمّاً.

ـ بدأ البدن يتأجج، يضيق، يُريد الخلاص من النفس.

هذه النفس التي يوجد بها فراغ، لا يعرف البدن كيف يملؤه بها وحشة، لا يدري البدن كيف يزيلها، بها هموم وآلام، لم يجد البدن طريقة لإبعادها.

ـ فتمضي المسكينة وقتها بالبكاء الحار، والنحيب المر، وتقضي حياتها بالهروب من نفسها، والتمرد على أهلها ومجتمعها. .

*** أسباب الطفش ***

ـ يقول الله ـ تعالى ـ: **﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجاً كأنما يصعد في السماء﴾**(١).

سبحان الله!! ما أعظم هذه الآية. أين الحائرات، ليجدن سبب مشاكلهن. أين التائهات المكتئبات، ليعلمن سبب مرضهن. . ثلاث صفات، وصف الله بها الصدر البعيد عن هداية الله. . ضيقاً: أي مغلق، مطموس، لا يتسع لشيء من الهدى. حرجاً: لا ينفذ فيه الإيمان والخير، فهو يجد العسرة

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٢٥.

والمشقة في قبولها. **كأنما يَصّعد في السماء**: أي أن حال هذا الصدر: كأنما يصعد بصعوبة وباستمرار في طبقات السماء، فينقص عنه الهواء، فيضيق، فيزداد ضيقاً، حتى لكأنه يختنق.

وهذا هو الذي تشعر به الإنسانة، الطفشانة، ضيقة الصدر.

هذا هو الذي تحسه الفتاة التي تتخطفها الهموم والآلام، والقلق والحيرة.

فهي تشعر بأن روحها تصعد، وتحس أنها في سجن وأن صدرها في ضيق.

إذاً، فالسبب الأول في هذا المرض هو: البُعد عن هداية الله.

* يقول الله ـ تعالى ـ: **﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً﴾**(١). إن التي تعرض عن ذكر الله، وتخالف أمر الله وتخالف أمر رسول الله ـ ﷺ ـ ستصبح معيشتها وحياتها ضنكاً. ضيقة. مليئة بالهموم والآلام والطفش والفراغ.

ولو كانت المرأة في عنفوان شبابها، وتملك من الأموال الكثير، ومن الذهب والثياب الكثير، ومن الصديقات الكثير. ثم

---

(١) سورة طه: الآية ١٢٤.

أعـرضت عن ذكـر الله . . فسيصيبها الطفش وضيق الصدر، وسترى معيشتها وحياتها ودنياها ضنكاً. ستضيق بها الأرض بما رحبت، لن تنفعهـا أموالها، لن تحمل صديقاتها هذا الهم من قلبها وصدرها، لن يخففن عنها، لن تنفعها تلك الثياب، وذلك الذهب. .

لماذا. . وهي الشابة؟ لماذا. . وهي الغنية؟ كيف حدث لها ضنك العيش هذا؟!!

لأنها أعرضت عن ذكر الله، فسترى معيشتها ضنكاً عقوبةُ من الله. يحدث لها ضنك العيش، وضيق الصدر لأنها كانت قاسية القلب لا تتأثر بالآيات والمواعظ، منكبة على الدنيا، تجرى خلف الشهـوات، وتلهث وراء المنكـرات، وكل همها اللذائذ والموبقات، لا يقر لها قرار. فمن ذنب إلى معصية، ومن صغيرة إلى كبـيرة. . تمل من اللذة فتنتقـل إلى غيرهـا. . تبحث عن السعادة في الهاتف والسوق، والفيلم والأغنية، والنكتة والطرفة والمجلة والتسريحة، والموضة والمرآة.

تعيش في تعـاسـة وانتكـاسـة، لا تخاف من الموت وأهوال الحساب وكرب القيامة، غافلة عن الله، متقاعسة عن الخير. . في وجهها ظلمة، عكستها ذنوبها، وروحها المظلمة. .

* العلاج *

إن لكل مرض علاجاً، وما وضع الله داءاً إلا ووضع له دواءاً، ويقول الله ـ تعالى ـ: ﴿**ونننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً**﴾[١].

فما العلاج من هذا المرض، وما السبيل إلى إبعاد هذا الطفش، وكيف الطريق إلى شرح ضيق الصدر هذا..

الإجابة عن كل هذه الأسئلة، عند الذي خلق أنفسنا، ويعلم صلاحها، وفسادها، وصحتها ومرضها.

* يقول الله ـ عز وجل ـ: ﴿**فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى**﴾[٢]، ومن اتبعت هدى الله فلن تضل، ولن تشقى، ولن تتخبط في القلق والاكتئاب، والحيرة والفراغ، لن تشعر بالطفش، ولن يضيق صدرها أبداً، وكيف يضيق صدرها، وهي تسير على منهج الله، متبعة لهدى الله.

* ويقول ـ تعالى ـ: ﴿**الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب**﴾[٣]. فالعلاج الثاني هو ذكر الله

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٢٨.

(٢) سورة طه: الآية ١٢٣.

(٣) سورة الرعد: الآية ٢٨.

على كل حال، تعلق القلب به في كل حين، تسبيحه في كل وقت.

فبذكر الله تُدفع الآفات، وتُكشف الكربات، وتهون المصيبات.. وبذكر الله تطمئن القلوب، وتأنس الصدور.. وكيف لا تطمئن هذه القلوب، وهي متصلة بالله خالقها، مستأنسة بجواره، آمنة في جانبه وحماه؟!

فتذهب عنها تلك الوحشة، ويبتعد ذلك القلق، وتفرج تلك الهموم، ويزول ذلك الضيق.

* ويقول ـ عز وجل ـ: **﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾**[١].

فالعلاج الثالث: **هو الإكثار من النوافل بعد الفرائض فهي** تجعل نفسكِ متصلة بالله ـ تعالى ـ وتجعل قلبكِ ذاكراً له ـ عز وجل ـ صلِّي الصلوات الخمس مع سننها، صومي النوافل: كالأيام البيض، والاثنين والخميس.

قومي الليل، وناجي ربكِ معبودكِ، واطلبي منه ما أردتِ،

(١) سورة الحجر: الآية ٩٧-٩٩.

أكثري من قراءة القرآن، واحفظي منه ما استطعتِ، جاهدي نفسكِ حتى تنهضي لصلاة الفجر، صلّيها وداومي على صلاتها، ثم انظري إلى نفسكِ، ماذا سيطرأ عليها؟ ستشعرين بحلاوة، بزيادة إيمان، تحسينه في قلبكِ، في اتساع صدركِ، في هدوء نفسكِ. .

* وكما أخذنا من كلام الله ـ تعالى ـ شفاءاً لهذا المرض، وحلاً لهذه المشكلة، فلا ننسى كلام رسول الله ـ ﷺ ـ الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، فإن في كلامه عليه الصلاة والسلام شرحاً للصدر، وطمأنينة للقلب، وأنساً للنفس.

قال ـ ﷺ ـ: «**ما أصاب عبداً هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك ماضٍ في حكمك، عدل فيّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي؛ إلا أذهب الله همه وحزنه، وأبدله مكانه فرجاً**»(١).

---

(١) صحيح الكلم الطيب: ١٠٥.

أختاه...

ارفعي يديكِ إلى الله مولاكِ كلما شعرت بضيق، ارفعي يديكِ، وادعي بما شئتِ، اشكي بثَّكِ وحزنكِ إليه، اتركي دموعكِ تسيل على خديكِ، لتخرج ما في نفسكِ من ضيق وهمّ وألم.

* وآخر علاج لهذا المرض هو اختيار الرفقة الصالحة الطيبة اللاتي يسرن على منهج الله، وسنة رسوله ﷺ.

اتركي رفيقاتك القديمات، ابتعدي عنهن ولا تقتربي منهن ولا تتصلي بهن. وعيشي مع هذه الرفقة الصالحة، تشعري بطعم الدين، وتحسي حلاوة الإيمان.

عيشي معهنّ.. ثم انظري إلى نفسك بعد فترة، انظري إلى حالك، انظري إلى صدركِ، تجديه قد اتسع بعد ضيق، تجديه استقر بعدما كان يصّعّد في السماء، تجديه قد غُسل تماماً وهرب منه الشيطان..

عيشي معهنّ، تجدي للإيمان حلاوة، وللطاعة لذة، وللحياة هدفاً، عيشي معهنّ، وتذكري ذلك الذي قال الله ـ تعالى ـ فيه: **﴿كالذي استهوته الشياطينُ في الأرض، حيران، له أصحاب**

يدعونه إلى الهدى: ائتنا قل إنَّ هدى الله هو الهدى وأُمرنا لنسلم لرب العالمين﴾(١).

أختاه...

يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم﴾(٢). ويقول ـ عز وجل ـ: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وُدّاً﴾(٣). وقال ـ تعالى ـ: ﴿ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينّهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾(٤).

● أختاه...

قارني بين هذه الحياة السعيدة الطيبة، وبين حياة البعيدين عن منهج الله.

قارني بين المستقيهات الصالحات الطاهرات، وبين الحائرات التائهات، التعيسات الشقيات، المليئات بالشك، والهموم،

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٧١.
(٢) سورة محمد: الآي ١٧.
(٣) سورة طه: الآية ٩٦.
(٤) سورة النحل: الآية ٩٧.

والطفش، وضيق الصدر.

أولئك الحائرات اللاتي يمثلهنَّ شعر ذلك الشاعر[1] الذي يقول:

جئت لا أعلم من أين ولكني أتيت
ولقد أبصرت قدامي طريقاً، فمشيتُ
وسأبقى سائراً، إن شئت هذا أم أبيتُ
كيف جئت، كيف أبصرت طريقي . . لست أدري

أجديد أم قديم أنا في هذا الوجودْ
هل أنا حرّ طليق، أم أسيرٌ في قيود
هل أنا قائد نفسي في حياتي، أم مقود
أتمنى أنني أدري، ولكن لست أدري

وطريقي ما طريقي؟ أطويل أم قصيرٌ
هل أنا أصعد، أم أهبط فيه وأغور
أأنا السائر في الدرب، أم الدرب يسير
أم كلانا واقف، والدهر يجري لست أدري

(١) إيليا أبو ماضي، ديوان الجداول، قصيدة الطلاسم.

أوراء القبر بعد الموت، بعثٌ ونشورُ
فحياة فخلود، أم فناءٌ فدثورُ
أكلام الناس صدق، أم كلام الناس زورُ
أصحيحٌ أن بعض الناس يدري لست أدري

قد رأيت الشُهب، لا تدري لماذا تشرق
ورأيتُ السحْبَ، لا تدري لماذا تغدق
ورأيتَ الغابَ، لا تدري لماذا تورق
فلماذا كلها في الجهل مثلي لست أدري

كلما أيقنت أني قد أمطتُ السّتْر عني
وبلغت السر سري، ضحكت نفسي مني
قد وجدت اليأسَ والحيرة، لكنْ لم أجدني
فهل الجهل نعيم، أم جحيم لست أدري

أنا لا أذكر شيئاً من حياتي الماضيهْ
أنا لا أعرف شيئاً من حياتي الآتيهْ
ليَ ذاتٌ، غير أني لست أدري ماهيهْ
فمتى تعرف ذاتِي كُنْهَ ذاتي لست أدري

إنــي جئـتُ وأمضي، وأنــا لا أعـلمُ
أنــا لغــزٌ، وذهــابي كمـجيئي طلسمُ
والـذي أوجـد هذا اللغز. . لغزٌ مبهم
لا تجادلْ. . ذو الحِجـى من قال إني: لست أدري

أتُــراني قبـلما أصبحت إنســانــاً سوياً
كنتُ محواً، أو محالاً، أم تُراني كنتُ شيًّا
ألهــذا اللغــز حلٌ، أم سيبقى أبــديّا
لســت أدري، ولمــاذا لســت أدري لست أدري

بئست الحياة، وبئس العيش. . **﴿أرأيت من اتخــذ إلهــه هواه، أفأنت تكون عليه وكيلاً أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إنْ هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً﴾**[1].

﴿أوَ مَنْ كان ميْتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها﴾[2].

(١) سورة الفرقان: الآية ٤٣.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٢.

أنـا لست إلا مؤمنـا بالله، في سري وجهري
أنـا نبضة في صدر هذا الكون، كيف يضيق صدري
أنـا نطفـة أصبحت إنساناً، فكيف جهلت قدري
ولِمَ الـترفـع عن تراب، منـه سوف يكـون قبري
إني لأعـجـب للفتى في لهوه، أوَ ليس يدري
أنَّ الحياة قصيرة، والعمر كالأحلام يسري[1]

---

(١) عبدالرحمن العشماوي: ديوان صراع مع النفس.

كلمــات مضيئــة

* فلا عيش إلا عيش من أحب الله، وسكنت نفسه إليه واطمـأن قلبه به، واستأنس بقربه، وتنعّم بحبه، ومن لم يكن كذلك: فحياته كلها هموم وغموم وآلام وحسرات[١].

* ففي القلب شعثٌ لا يلُمّه إلا الإقبال على الله.

وفيه وحشة، لا يزيلها إلا الأنس به، وفيه حزن، لا يذهبه إلا الاجتماع عليه، والفرار منه إليه، وفيه نيران حسرات، لا يطفئها إلا الرضىٰ بأمره ونهيه، وفيه فاقة، لا يسدها إلا محبته والإنابة إليه ودوام ذكره وصدق الإخلاص له.

ولو أعطيَ الدنيا وما فيها لم تُسَدّ تلك الفاقة منه أبداً[٢].

* الأنسُ ثمـرة الطاعة والمحبة، فكل مطيع لله مستأنس، وكل عاصٍ لله مستوحش[٣].

(١، ٢، ٣) مدارج السالكين.

وأخيرا...

● **أختاه....**

والله ما وقفت هذا الموقف، ولا تكلمت بهذا الكلام، إلا لخوفي على هذا الوجه الأبيض، أن يُصبح مسوداً يوم القيامة، وعلى هذا الوجه المنير، أن يصبح مظلماً، وعلى هذا الجسد الطري، أن يلتهب بنار جهنم.

والله ما وُجدت في هذه الدنيا إلا للعبادة: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾[١].

لم تخلقي للهو والعبث: ﴿**أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون**﴾[٢].

فاستعدي للقاء الله، وتذكري الرجوع إلى الله، ألا تفكرين، ألا ترجعين لرشدك؟

أتشكين في وعد الله ووعيده؟ ﴿**يا أيها الناس إنَّ وعد الله حق**

---

(١) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ١١٥.

فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور إنَّ الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير﴾ (١).

والله إني أخاف عليكِ عذاب يوم عظيم، والله إني لكِ ناصح أمين، فاغتسلي بماء التوبة، وتوضئي بوضوء الرجوع والأوبة. واعلمي أن أمم الشر والفساد لكِ بالمرصاد، يريدون منكِ خلع الحجاب، ورفع الثياب، والتهتك في الأسواق، والتخلق بمساويء الأخلاق، فلتخلفي ظن أولئك الأوغاد، وتمسكي بدينك وشرفك وحجابكِ فإنما الدنيا ظل زائل، والآخرة هي دار القرار. واستمعي لذلك المؤمن النصوح المشفق، الذي قام ينصح قومه قائلاً: **﴿وقال الذي آمن يا قوم اتبعونِ أهدكم سبيل الرشاد، يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع، وإن الآخرة هي دار القرار من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها، ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب، ويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار**

---

(١) سورة فاطر: الآيتان ٥، ٦.

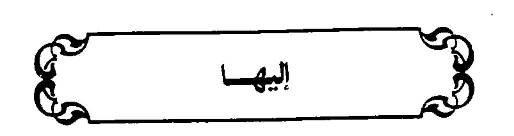
تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار لا جرم أنما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وأن مردنا إلى الله وأن الكافرين هم أصحاب النار، فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله، إن الله بصير بالعباد﴾(١).

نعم والله، سوف تذكرين هذا الكلام، والموعد يوم القيامة، وستعلمين يومئذ من كان على هدى، ومن هو في ضلال مبين، وستعلمين من كان على هدى، ومن هو في ضلال مبين، وستعلمين من كان على نور، ومن هو في الظلام يتخبط: **﴿أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها﴾**(٢).

- **﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾**(٣).

---

(١) سورة غافر: الآيات ٣٨ـ ٤٤.
(٢) سورة الأنعام: الآية ١٢٢.
(٣) سورة هود: الآية ٨٨.



إليهـــا

إلى تلك التي خرجت من بيتها متبرجة، تجر حجابها، وتقود سيارتها، وتقول حرروني!!

خرجتْ.. تقـود العـالمين.. إلى الهلاك مدى الدهورْ
نادت.. بتحـرير النساء.. من التدين والطهورْ
ظنت.. بأن الـدين مات.. وما تبقى من غيورْ
كذبت لعمـر الله.. إن دمـاءنا.. تغلي.. تفورْ
والله.. لن تضعي الحجاب.. وطرفنا فينا يدورْ
لن تستـــطيعي مســـه، حتى نوارى في القبـــورْ
أرواحنـا تفـدي الحجاب، قلوبنا.. بل والنحورْ
عودي لرشـــدك يا رشيدة.. قَلِّبي هذي الأمـورْ
قد أحكمت خِطط الثعالب، كُحلتْ عين الصقورْ
لم يبق لليوم السعيد.. سوى الخروج من الخدورْ
فستخـــرج الحـربـاء.. كاشفـة لهاتيك الشعـورْ
والـسـلحـفــاة تزينـتْ.. والخنفســاء بها عطورْ

وأتـانـنـا[1] تجري، ويجـري خلفهـا جحش نفـورْ
والقــرد قهقـه ضاحكـاً، والتيس يغمـره السرورْ
والـذئب يقضي وطـره، وكـذلـك الكلب العقورْ
والـلذة الحـمـراء ترفـلُ، لا عقــود ولا مهــورْ
وكــأنــنــا في غابــة.. الـظلم فيهــا والشرورْ
وكــأنـك الخفـاش.. يهرب خائفـاً من كل نورْ
ممنْ أردت تحرراً.. أمِنَ الـرسـول.. أم الغفـورْ
إياكِ من خبـث الـثـعــالب، قولهم كذب وزورْ
يا أختنـا.. توبي لربكِ.. واذرفي الدمع الغزيرْ
أوَ ما تريدين الجنـان.. ولا الظلال.. ولا القصورْ
أو ما تريدين السيادة.. بين ولــدان.. وحــورْ
أختـاه.. فلتحمي حجابك.. واختفي خلف الستورْ
صوني عفـافـك يا عفيفـة، واتركي أهل السفورْ
لا تسمعي قول الخـلاعـة.. والميوعـة والفجـورْ
فستــذكــرين نصيحتي.. يوم السـماءُ غداً تمورْ
يوم يصرخ ظالم: يا ويلتــاهُ.. ويا ثبــور

أبو حســان

(١) الأتان: أنثى الحمار، أعزك الله.

فهرس الموضوعات

٣ ر.س

تطمح دار القاسم للنشر إلى المساهمة في إثراء المكتبة الإسلامية بالمجموعات التالية :

- **من أدب الدعوة**
- **اعلام الأمة**
- **الطفل المسلم**
- **رسائل التوبة من..**
- **رسائل إلى قاصرات الطرف**

أخي الكاتب . . أخي القاريء : ساهم معنا في إخراج هذه المجموعات بالكتابة والرأي والملاحظة .

دار القاسم للنشر

هدفنا نشر الكتاب الاسلامي

ردمك ٣ـ٠٨ـ٧٥٩ـ٦٠

مطبعة سفير تلفون ٤٩٨٠٧٨٠ - ٤٩٨٠٧٧٦ ★ الرياض